

جغرافيا فلسطين في ذهن ومخيلة باحث الجغرافيا الاسرائيلي. اننا نعتبرها مقدمة متواضعة من اجل بناء اطار بحث جغرافي فلسطيني مستقبلي. ان ما كتبه طالب الجغرافيا الالماني، في رسالة اليينا، في العام ١٩٨١، عقب زيارته الاولى لبلاطنا، وقوله: «لقد فوجئنا بأن نجد كم ان اسرائيل هي عربية»، في صميم دراستنا، من حيث ان ما يصوره الاسرائيلي في كتاباته الجغرافية عن البلاد، وما يقرأه القارئ الاجنبي عنّا، يختلف، تماماً، عمّا تراه العيون والتجربة المكانية. لقد لاحظنا نهج الباحث وال كاتب الجغرافي الاسرائيلي الخاص بابرار أمور خاصة تخدم أهدافه، وفي الوقت عينه التنكّر لأمر أخرى قد لا تخدم، أو تناسب، نظرياته. فالكتاب الاسرائيليون تراهم يقتبسون عن بعضهم البعض؛ وكل جيل يأتي يثبت ما قاله سابقه بصورة أو بأخرى. والنتيجة هي طمس المعالم الحضارية العربية للبلاد، أو تشويهها؛ وهذا الامر قد يكون محتملاً بانعدام وجود باحثين آخرين يناقضون نتائجهم.

فمن تصنيفات رايت لأنواع التخيل الثلاثة التي تؤدي الى اللاموضوعية في الجغرافيا، يمكننا ان نتبنى التخيل الانشائي (promotional imagination) كإطار نظري للجغرافيا البشرية الاسرائيلية الخاصة بتحليل، وتقويم، الملامح العربية الفلسطينية.

ان ما يؤثر في هذا النوع من التخيل هو الرغبة الشديدة في التشجيع أو الدفاع عن أي مصلحة شخصية، أو سبب آخر، أكثر من الرغبة في البحث عن الحقيقة الموضوعية، ولأجل الحقيقة نفسها. ومن هنا، فان التخيل اللاموضوعي مسيطر عليه من قبل احساس في اتجاه معين، حكم مسبق، تحيز، طمع، خوف، أو حتى حب. وكل هذا يؤدي الى تكوين مفاهيم وهمية مضلّة تطابق ما يرغب فيه الفرد، وليس، بالضرورة، يطابق الحقيقة^(٢٩).

ان اندفاع الجغرافيا البشرية الاسرائيلية الى هذا التوجه اللاموضوعي بسبب سيطرة الاحلام الصهيونية والدوافع السياسية قد أدّى، بدوره، الى اهمال مواضيع بحث جوهرية في كشف «تتابع الاشغال المكاني» (sequent occupance) للاستقرار البشري في فلسطين. وفي الوقت عينه، فقد حُصر الفكر الجغرافي الاسرائيلي في اطار وتجربة ضيقين، الامر الذي سوف يُكلف الاسرائيليين جهداً كبيراً للوصول الى العمومية (generality) وموازية دراساتهم الجغرافية مع نهج جغرافيا باقي الشعوب.

بقي علينا، نحن الجغرافيين الفلسطينيين، ان نستمر في كتابة نصوص جغرافية أمينة؛ وليس هنالك خوف من ان نتهم باللاموضوعية، لأن جغرافيا التراب الفلسطيني ناصعة، عربية، تحميناً.

Blaut, J.M.; "The Dissenting Tradition", *Annals of the Association of American Geographies*, Vol. 69, No. 1, 1979, pp. 157 - 158.

Harvey, D.; *Explanation in Geography*, London: Edward Arnold, 1969, pp. 51 - 61.

Newman, D. and (٦) قارن الأمر بالرجوع الى
J. Portugali; "Israeli - Palestinian Relations as Reflected in the Scientific

Wright, J.K.; "Terrae Incognitae;(١)
The Place of the Imagination in Geography", *Annals of the Association of American Geographies*, Vol. 37, No. 1, 1947, pp. 5 - 6.

Watson, J.W.; "Image Geography;(٢)
The Myth of America in American Science", *Advancement of Science*, Vol. 27, No. 131, 1970, p. 71.

Kaplan, A.; *The Conduct of Inquiry*;(٣)
Scranton: Chandler, 1964, p. 387.